

الوقف والتنمية المستدامة

تجربة عبد الحميد أبو سليمان نموذجاً

د. سامي الصلاحات

مؤسس المعهد الدولي للوقف الإسلامي بماليزيا

ربيع الأول 1445هـ / أكتوبر 2023م

الملخص باللغة العربية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين،،،،، تشكل تجربة الدكتور عبد الحميد أبو سليمان [1936-2021م] رحمه الله تعالى، تجربة فاحصة في تشخيص واقع المؤسسات الإسلامية العاملة في مجال التربية والتعليم، أو في مجال الفكر والتواصل الحضاري، أو في مجال مؤسسات النشأ والأجيال، فقد كان له دراية واسعة بهن، وقدرة على الكشف عن عثرات هذه المؤسسات من خلال تسلمه قيادة بعض هذه المؤسسات في دول مختلفة.

لقد كان له بصمات ورؤى عميقة لتعزيز قوة هذه المؤسسات وحضورها عندما أدرك أهمية أن يكون لها قدرة على الاستمرار والمواصلة، ولم ينحصر أمره في الجانب الفكري والثقافي فحسب، بل إن المتعمن في مسيرته يرى أنه كان له دراية في مجال تعزيز ما يُمكن التعارف عليه بتأسيس موارد تنموية لصالحها ليضمن لها الاستمرار والمواصلة في العطاء.

ولقد لاحظنا من تنظيرات أبا سليمان وتجاربه العلمية والعملية في المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية ودولة ماليزيا هذا بوضوح، فهو رحمه الله تسلم منصب الأمين العام المؤسس للأمانة العامة للندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، ومن مؤسسي اتحاد الطلبة المسلمين والاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية، ومؤسس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، والرئيس المؤسس لمؤسسة تنمية الطفل، والمؤسس والرئيس الأسبق لجمعية علماء الاجتماعيات المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا، كما قضى أكثر من عشر سنوات مديراً للجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا من عام 1988 - 1999م، وأسس فيها صندوق الوقف للطلبة المسلمين.

وزرع في هذه المؤسسات نظام التنمية المستدامة لمواصلة عطاءها ودورها التنموي، من خلال مفهوم الوقف وتأسيس صناديق وقفية وتنموية تابعة لها، كما أنه كان مدركاً لأهمية تعزيز هذه القيم ومنهجية التنمية المستدامة في جيل الطلبة الجامعيين، من خلال الاستفادة من خبرات الآخرين الثقافة الغربية.

ولكي نرسم صورة أوضح عن تجربة دكتورنا عبد الحميد رحمه الله، نحدد هذا بالمطالب التالية:

- **المطلب الأول: علاقة الوقف بالتنمية المستدامة**
- **المطلب الثاني: النظرة والممارسة لأبي سليمان لمفهوم استدامة المؤسسات.**
- **المطلب الثالث: معالم التنمية المستدامة عند أبو سليمان.**

المطلب الأول: علاقة الوقف بالتنمية المستدامة

ساهم الوقف الذي يعرفه الفقهاء من أنه: "تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة"¹، في تحقيق إنجازات على مختلف الأصعدة والمجالات الحياتية، وله رصد قيمي أخلاقي في المجتمعات والدول من خلال إنجاز قيمة التكافل والتعاون وحب الخير والتكامل ما بين القطاعات في الدول، وهذه الإنجازات المجتمعية شكلت قوة ترابط اجتماعي وشبكة علاقات اقتصادية متنوعة ساهمت في تطوير الاقتصاد المحلي، وعززت القطاعين التعليمي والصحي تحديداً، وشكلت منظومة لدعم العمالة والموارد البشرية، والتكوين المهني، وأسست في ترتيب التطور العمراني في المجتمعات. وهذا التوجه في مفهوم الوقف ومشروعيته وعمله يتقاطع كلياً مع مفهوم التنمية المستدامة بكافة أنماطها، والذي يراد به زيادة الموارد والقدرات الإنتاجية في المجتمعات من خلال التنمية الاقتصادية والمجتمعية والبشرية، فالوقف بذاته تنمية، وهو أيضاً مستدام على توصيف فقهاء الشريعة أن الوقف شرطه التأييد، وهو ما ذهب إليه مجموعة من الفقهاء².

فالتنمية المستدامة Sustainable Development كمفهوم معاصر مستخدم منذ عام 1974م من خلال مؤتمر ستوكهولم ثم في عام 1986م في روما، ثم في عام 1992م، للتعبير عن التفاعل ما بين الاقتصاد والإيكولوجيا ويشمل جميع الموارد الطبيعية، أو تحقيق التوازن بين الأنظمة البيئية والاقتصادية والاجتماعية³. تم تعريف التنمية المستدامة من قبل لجنة أنشأتها الأمم المتحدة لهذا الغرض، فعرفت أنها: "تلي احتياجات الجيل الحاضر دون التضحية أو الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها"⁴. وعرف البعض الآخر التنمية المستدامة على أنها: "الإدراك لطبيعة توافق جميع أصحاب المصلحة للوصول إلى نقطة التوازن الكوني، الأمر الذي يتطلب توفير فرص لنمو جميع الأطراف المعنية، مع الأخذ بعين الاعتبار الانسجام والتكيف مع أصحاب المصلحة الآخرين لتحقيق العدالة بين الأجيال، وداخل الجيل نفسه من خلال تطبيق النظام القائم على التوازن"⁵.

وقد توجه العديد من علماء الشريعة لربط مقاصد الشريعة بمفهوم التنمية من خلال المقاصد العامة، فالدين مرتبط بالإيمان ويعطي قيمة للحياة البشرية، والنفس والعقل والمال والنسل كلها مقاصد تعزز الفكر والكيان

¹ النووي، المجموع، (لا يوجد مكان للنشر، دار الفكر، ط.ت.) 320/15.

² النووي، المجموع، 334/15، ابن عابدين، رد المحتار، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط.1، 1994)، 535/6.

³ عبد الجبار السهماني، دور الوقف في التنمية المستدامة، (جامعة الإمارات، مجلة الشريعة والقانون، العدد44، أكتوبر 2010م)، ص21، عبد الرحمن الجريوي، أثر الوقف في التنمية المستدامة، (الجزائر، ملتقى مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة 8 مايو، 2012م)، ص25، ص26.

⁴ نقلاً عن موسى نفاع، أثر المشاريع الصغيرة والمتوسطة في التنمية المستدامة، (الأردن، جامعة البلقاء التطبيقية، رسالة الماجستير، 2013م)، ص50، قارن مع: عبد الرحمن الجريوي، أثر الوقف في التنمية المستدامة، ص25.

⁵ دليل الاستدامة المؤسسية للمؤسسات المالية، (البحرين، المجلس العام للبنوك والمؤسسات المالية الإسلامية، 2022م)، ص12.

المجتمعي وحركة المال، وهي كلها مرتبطة بمفهوم الاستخلاف " هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها"، سورة هود، 61، وتعني بالمحصلة الاستغلال الأمثل للموارد التي وهبها الله عز وجل للإنسان، وهي موارد مسخرة لخدمته وتعظيم شأنه بالعلم والعمل.

وتعتبر التنمية المستدامة محلاً للكشف عن القوة المؤسسية في المنشآت والشركات، والتي قد تظهر من خلال الالتزام بأسسها، وهي كما نظن⁶:



وإذا أردنا أن نقارن بين الوقف والتنمية المستدامة حسب تقسيمات المعاصرين للتنمية المستدامة كما ذكرنا سابقاً منى أنها تسعى لتعزيز التوازن بين الأنظمة البيئية والاقتصادية والاجتماعية، فإن الوقف تاريخياً عند المسلمين ساهم في تعزيز هذا التعاون بين هذه الأنظمة، بل كان الوقف في الإسلام أكثر توازناً من هذا المثلث الذي يسعى لتحقيقه مفهوم التنمية المستدامة، فالمصارف الوقفية لم تنحصر في البيئة والتنمية المجتمعية والاقتصادية فحسب، بل ساهمت من خلال أنواعها ومصارفها واستثماراتها لتعزيز ما هو أعلى من هذا، فكان الوقف يشمل الإنسان، والحيوان، والجماد، والنبات، وكل هذا يشمل الوقف، وحسب رغبة الواقف ونظرتة للحياة.

ويمكن أن يكون للوقف دور مؤثر في فهم التنمية المستدامة من خلال محاوره الرئيسية⁷، ففي المجال الاقتصادي يمكن أن يؤثر الوقف من خلال السلوك الادخاري، وتوزيع الغلة، وتعزيز البنية الاقتصادية، وتوفير القروض وتسهيلها، وتمويل المشاريع، التأمين، والتخفيف على الحكومات في الصرف نحو التنمية المجتمعية، واستحداث مصادر دخل، وتقديم الإعانات، وزيادة الحاجم الناتج المحلي. في حين أن دور الوقف في التنمية المجتمعية تعزيز

⁶ قارن مع: دليل الاستدامة المؤسسية للمؤسسات المالية، ص14.

⁷ عبد الرحمن الجريوي، أثر الوقف في التنمية المستدامة، ص41.

الحس التراحمي بين الأفراد، واتساع منافعه، وتحقيق الرعاية الاجتماعية، وتوفير المياه، ورعاية الغرباء والفقراء والمعدمين وتحقيق الاستقرار الاجتماعي، وتعزيز الجانب الأخلاقي.

فأبعاد التنمية المستدامة تحقق في التمكين، من خلال توسيع قدرات الناس على زيادة الخيارات، أو من خلال التعاون والشراكة بين الناس، أو الإنصاف بتحقيق العدالة في القدرات الأساسية والفرص، والاستدامة التي تلي حاجات الجيل الحاضر دون أن تعرض القدرة الأجيال القادمة، وغيرها⁸.

وهذا الأمر كان واضحاً عند الدكتور عبد الحميد أبو سليمان⁹، إذ كان ينظر للمؤسسات الإسلامية بمنظور الأمة واهتماماتها، ولم تنحصر نظرته لها من منظور الدولة أو الأقليم، بل كان ينظر للمؤسسة الإسلامية على أنها تمثل الأمة ككل، وعلى حد وصف أستاذنا الدكتور محمد بن نصر كان رجلاً " ينظر بعيون الأمة الطموحة في زمن الاستتباع القطري، رجلاً أراد أن يفعل عقلاً عقلته الوجدانيات الجماعية الجامعة والأمني العريضة والأسباب الغائبة"¹⁰.

وقد سعى أبو سليمان خلال عمله في عدة مؤسسات أن يعزز الاستدامة بها بشكل واضح ومنضبط، فالاستدامة التي تشكلت في فهم أبو سليمان لا تخرج على أنها ميزان يضبط أصحاب المصلحة في عالم مستدام، وهذه نظرية قائمة على مفهوم الاستخلاف، فالله خالق الأرض والإنسان والبشر والبيئة والحيوان ضمن سنة التدافع والتسخير، فيجب أن يتحقق في هذا الكون مفهوم استخلاف الإنسان، والقدرة على استدامة عمله ضمن تسخير القدرات التي جعلها الله في هذا الكون.

هذه الأسس كانت حاضرة في ذهن أبي سليمان، ولهذا كان تتلخص نظرته نحو استدامة المؤسسات من منظور جمعي وليس من محل تواجده أو مكان تأسيس هذه المؤسسة أو تلك، ويمكن تلخيص هذه النظرة بالأسس التالية: (1) أن تلتزم القيادة السياسية بالعمل المؤسسي بدايةً، وأن اندحار العمل المؤسسي في حياة المسلمين كان أثراً لضعف المؤسسات العامة بسبب ضعف الالتزام الإسلامي لدى القيادة السياسية، إذ يقول: " ونتيجة لهذا الانقسام والانقسام وضعف الالتزام الإسلامي لدى القيادة السياسية وغياب البرنامج العلمي التربوي والثقافي المتكامل وما لحقه من ضعف المؤسسات العامة والحس الاجتماعي العام، ضعفت الأمة وضعف كيائها، وضعف دور السلطة والقانون العام والمؤسسات العامة"¹¹.

فيجب أن تتحقق القناعة في القيادة السياسية أولاً كي تتقبل الفكرة المؤسسية، ويتم ممارستها في الحياة العملية عند المسلمين، ليس فقط في السياسة، وإنما في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

⁸ محمد الخواجة، دور الوقف الإسلامي في عملية التنمية المستدامة، (الرباط، مؤمنون بلا حدود، 2016م)، ص 10.

⁹ ولد الدكتور عبد الحميد أبو سليمان بمكة المكرمة عام 1355هـ / 1936م، وانتقل إلى رحمة الله بتاريخ 18 أغسطس 2021، عن عمر ناهز 85 عاماً،

¹⁰ نقلاً عن موقع إسلام أون لاين [islamonline.net]، بتاريخ 7 يوليو 2022.

¹¹ عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، (واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1991م)، ص 83 وما بعدها.

(2) ويعتقد أيضاً أن بناء أي كادر بشري يتسلم هذه المؤسسات، يجب أن يتم على منهج تربوي سليم، يفهم معالم ومقاصد الإسلام وخصائصه، كي ينتج هذا الكادر الثمار المرجوة، فيقول: " بناء مهني تربوي متكامل سليم المنهج نقي الثقافة يستدرك الأبعاد التي أهملت في تربية النشء المسلم، بما في ذلك التربية السياسية، التي تنبني على الالتزام بمبادئ الإسلام في الإخاء والتكافل والعدل والشورى والرفق والحسنى في علاقات المجتمع، فلذلك هو أساس السلم والأمن والازدهار والاستقرار الذي يجب أن يركز عليه بناء الأمة، ويكون منطلق حركتها نحو الاستقرار والإبداع والإعمار"¹².

فكرة الدكتور عبد الحميد كان تتمحور دوماً حول القيم التي يرغب أن تتمثل في الجيل والنشئ، فقد كان " الدكتور عبد الحميد واعياً بأهمية القيم في البناء، وبأن المشروع الفكري الذي يحاول صوغه وتطويره متصل اتصالاً مباشراً بموضوع القيم"¹³.

(3) ومع هذه التربية السليمة، لكن يرى رحمه الله أن أي عمل إسلامي يجب أن يسبقه الإعداد والتحضير، والتخصيصية اللازمة، وأن نرى ماذا نملك من مقدرات ومقومات قبل أن نؤسس لعمل نرغب بالتفوق فيه، فيقول: " إذا شئنا أن نحقق الشمولية الإسلامية فيجب أن يبدأ العلماء والمفكرون والمثقفون المسلمون بالإعداد السليم لوضع المقدمات الإسلامية العلمية المنهجية في كل علم ومجال، وأن ننظر إلى ما في أيدينا من علوم ومعارف نظرة فاحصة نستصفي منها ما هو صحيح، وما فيه خير للإنسان قبل أن نتوقع لجهودنا الكمال والتفوق والعطاء الأصيل الرائد إن شاء الله"¹⁴.

والتحضير الذي يراه أبو سليمان ليس هامشياً كما يظن البعض، بل يجب أن يتعمق أهله في الأداء المؤسسي بطريقة ترتبط بالسنن الحضارية، لأن " من واجب المفكرين والدارسين السياسيين والاجتماعيين المسلمين أن يعمقوا دراساتهم إلى الجذور والمنطلقات والأسس التي تقوم عليها الحضارات والأمم حتى يمكن فهم الفروقات وانعكاساتها على الأنظمة والممارسات والإنجازات"¹⁵.

(4) وهذا العمل ولا شك سيكون مؤسسياً يجب أن يمتلك أصحابه القدرة والمكنة في هذا العمل المؤسسي ويعبر عنه بالقدرة والخبرة، أو يعبر عنه أيضاً بالأصالة المعاصرة فيقول: " القدرة والخبرة الفنية وسلامة المنهج، كما

¹² عبد الحميد أبو سليمان، العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي، (واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2، 2001م)، ص 81.

¹³ كلمة التحرير، عبد الحميد وإسهاماته في بناء القيم، الفكر الإسلامي المعاصر، (العدد 102، خريف 1442هـ/2021م،

[www.citj.org]. ص 5.

¹⁴ عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص 160.

¹⁵ أزمة العقل المسلم، ص 204.

تعني أيضاً منطلق الدراسة والتحليل من قاعدة العلم بالفطرات والطابع، ومن قاعدة الخبرة والممارسة، وهذه الممارسة تنطلق من الواقع وقضاياها وإشكالاته وإمكانياته باتجاه الإسلام وكياناته ومقاصده وقيمه وتوجهاته"¹⁶. بمعنى أن الحل يكمن في داخل العقلية المسلمة ومن فكرها واعتقادها، ولهذا كان يوصي المفكرين بالتركيز على هذا الشأن عند تأسيس الأعمال ومواجهة التحديات فيرى " إن على المفكرين المسلمين والقيادات المسلمة الناضجة الجادة أن يأخذوا أنفسهم بالطريق الوحيد المفتوح حقيقة أمامهم مهما بدا في بدايته شاقاً، ويتيقنوا أن الحل المطلوب لا بد أن يبدأ من دينهم وأرضهم وتاريخهم ودوافعهم، يواجهون بها تحديات العصر في أصالة"¹⁷. وهذا يستدعي كما يذكر الدكتور أبو سليمان مفهوم الأصالة والمعاصرة أو ما يسميه بالحل الإسلامي المعاصر، وهو يمثل الحل لمواجهة تحديات العصر من منطلق إسلامي، وكى تتمكن الأمة من هذا يجب عليها: تحديد المنطلق الصحيح للحل، والقناعة الكاملة به، والسير بخطى ثابتة باتجاهه وعلى هدى منه، وتوفير الوسائل العملية الفعالة لتحقيقه وتربية الأمة عليه"¹⁸.

(5) وهذا ما عزز مفهوم التنمية المستدامة في فكره، فهو وإن كان لم يذكرها بكتبه ومؤلفاته، ولكنه مارسها وواظب عليها في أعماله ووظائفه ومناصبه التي عمل فيها، لا سيما في السعودية والولايات المتحدة وماليزيا، وكان رجلاً مؤسسياً، وكان يعتبر العمل الجماعي الضامن الحقيقي لتحقيق العمل المؤسسي، فأهمية العمل الجماعي وشكله المؤسسي، إذ يقول: " فإن الفعل والأداء الإنساني لا يقف حده وأثره عند الفرد، وإنما يتعداه إلى المجتمع ومؤسساته وأفراده وموارده وطاقاته، ولهذا فإن الفعل والأداء الإنساني له طبيعة جماعية، أي يجب أن يتم وفق تصور يتفاعل ويتكامل مع الجماعية وبنائها وقرارها الجماعي، كما ونوعاً وفي كيفية بلوغ المجتمع وأفراده، وتحقيق غايتهم الحياتية الإعمارية والإصلاحية"¹⁹.

(6) ولهذا كان يرى في منتوجات المؤسسات التي أشرف عليها آثار شاهدة على دقة نظرته لاستدامة العمل المؤسسي، فعندما كان ينظر إلى خريجي الجامعة الإسلامية العالمية على أنهم أصول علمية يمكن أن يتم زرعها في مواطن إقامتها وعملها بعد أن تتخرج من الجامعة، وخصوصاً أن تكون هذه الأصول العلمية مندرجة في أعمال التربية والتعليم وإعداد الكوادر، لا سيما " الفكرية والقيادية والإنتاجية"²⁰، كي يتم بها مواجهة التحديات الكبرى التي تواجه الأمة.

¹⁶ عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص 42.

¹⁷ أزمة العقل المسلم، ص 37.

¹⁸ عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص 29، وما بعدها.

¹⁹ عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص 145.

²⁰ من تقديم الدكتور عبد الحميد أبو سليمان لكتابي: سامي الصلاحيات، الإعلام الوقفي، (الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ط1، 2006)، ص 3.

ومن هذا المنطلق، فهو يرى أن انتشار هذا الكم من الطلبة الذين تخرجوا من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، - وهي مؤسسة من المؤسسات التي أشرف عليها يعتبر بمثابة تحدٍ يمكن أن يتم البناء عليه في تدريس واقع الدمج ما بين الدراسات الشرعية والدراسات الإسلامية، وهو ما كان يعبر عنه بإسلامية المعرفة.

إذ يرى أن تجربة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا - كنموذج للمؤسسة المستدامة - حينما استهدفت خطة إسلامية المعرفة، استطاعت تحقيق نتائج ملموسة في أبناءها الطلبة الخريجين الذين أسهموا كلٌّ في مجاله وموقعه في خدمة هذه الأمة، من خلال الجمع ما بين معارف الوحي الإسلامي [الدراسات الدينية الإسلامية]، والعلوم العقلية الإنسانية [السببية الكونية]²¹.

(7) من هنا جاءت فكرته لموضوع التنمية المستدامة، فهو يعتقد على سبيل المثال أن الوقف الخيري، أو بعبارته الواضحة " البذل والمشاركة الجماهيرية في بناء مؤسسات المجتمع المسلم ذات الصفة الخيرية، والإسهام في تلبية حاجات أبناء الأمة، وتوفير الموارد اللازمة للإنفاق عليها، وتسييرها بشكل ناجح، وذلك من خلال تنمية روح البذل والعطاء وحس المسؤولية العامة لدى أبناء الأمة، كل بقدر طاقته، قياماً بمسؤوليات الاستخلاف، وتحقيق روح الإخاء والتراحم الإسلامي والإنساني بين أبناء الأمة"²².

فالأصل أن الاستدامة تحقق الاستخلاف الذي أمرنا به كمسلمين، وأن يتم حفظ حقوق الأجيال القادمة في فكرها وثقافتها واجتماعها واقتصادها، كي يكون هذا العمل المؤسسي مستداماً.

(8) لذا، كان يرفض أبو سليمان رحمه الله تعالى التعامل مع مفهوم التنمية عموماً كمعالجة "وعظية تقليدية"²³، فالأصل في المعالجة أن تكون محققة لكفاءة الأداء، وحسن الإدارة والاستثمار، وتوفير الموارد، وتحريك جوانب البذل والعطاء لدى أبناء الأمة، وحسن ترتيب أولويات العمل.

فهو يرى أن الإسلام هو البديل بمجالاته الحيوية المجتمعية والاقتصادية، لهذا تجده لما تحدث عن المصارف الإسلامية، يقول: "وتأتي مؤسسات البنوك الإسلامية اليوم كمحاولة جريئة في صيغ الحل الإسلامي البديل الذي يعطي الأمل في إمكانية تحقيق الحاجات الإسلامية المعاصرة، ومنها الخدمات المالية والاقتصادية وبصيغة تتجاوب مع نفسية المسلم وفكره وفؤاده"²⁴.

(9) فلم تكن تجربة البنوك والمصارف الإسلامية عبارة عن موعظة، وإنما كانت كفاءة أداء ومكنة مؤسسية، واعتقاده هذا كان ينصب دائماً على أن الوقف هو شكل من أشكال التنمية المستدامة، لا سيما في نجاح الوقف

²¹ تقديم الدكتور عبد الحميد أبو سليمان لكتاب الإعلام الوقفي، ص 4.

²² من تقديم الدكتور عبد الحميد أبو سليمان لكتاب الإعلام الوقفي، ص 3.

²³ تقديم الدكتور عبد الحميد أبو سليمان لكتاب الإعلام الوقفي، ص 4.

²⁴ عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص 35.

ك"مؤسسة دينية استثمارية خيرية ناجحة، تسهم في توفير الموارد اللازمة لنجاحها في خدمة الأمة، وتحقيق أهدافها الخيرة النبيلة"²⁵.

(10) لهذا نظر إلى أهمية أن تكون المؤسسة المستدامة مؤسسة تُعنى بالاستثمار والتطوير الذاتي، لها القدرة على الادخار والاستثمار كي تتمكن من حفظ حقوق الأجيال القادمة، ف" كما ينبغي مراعاة الادخار للاستثمار في تعزيز أدوات الإنتاج وسد الحاجات الطارئة ومراعاة حق الأجيال القادمة، والربح والفائدة يتناقضان مع العدالة والإنسانية.. وتوسيع الفجوة بين الأغنياء والفقراء"²⁶.

لهذا سوف نلاحظ من المؤسسات التي وقع عليها الاختيار في هذه الورقة، كلها ساهمت في مجال الادخار والاستثمار علماً أنها ليست مؤسسات استثمارية أو مالية بالمقام الأول، بل مؤسسات إغاثية وتعليمية وفكرية، ولكن لأن أبا سليمان اعتقد بأهمية الاستدامة لهذه المؤسسات، فترى أنها مارست العمل المؤسسي المستدام بأشكال مختلفة لتحقيق غاية الاستخلاف وحفظ حقوق الأجيال كما سنرى.

وقد أشار إلى هذا عندما تناول الملكية وعوامل توزيع الإنتاج، فكما لا " يصح الاختلالات في التوزيع بين الأجيال، لذا فلا بد من إعادة التوزيع على نحو يضمن حق المجتمع في عوامل الإنتاج، ولضمان حرية إرادته، وتأكيد مبدأ الكسب للعمل وحده"²⁷.

المطلب الثاني: النظرة والممارسة لأبي سليمان لمفهوم استدامة المؤسسات.

شكلت نظرة أبو سليمان في التعامل مع المؤسسات التي أسسها أو شارك في تأسيسها وإدارتها لاحقاً محلاً لتطبيق نظرتة لواقع التنمية المستدامة، وسوف نحصر هذا في ثلاث مؤسسات عالمية، فهو:

- الأمين العام المؤسس للأمانة العامة للندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض بالمملكة العربية السعودية من عام 1973-1980م.
- الرئيس الأول ومؤسس للمعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية، من عام 1981-2021م.
- مؤسس ومدير الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا من عام 1988م -1999م.

وما زالت هذه المؤسسات تعمل حتى الآن، ولها أثر واضح في واقعنا المعاصر، وهي:

أولاً) الندوة العالمية للشباب الإسلامي في السعودية [WAMY]

²⁵ تقديم الدكتور عبد الحميد أبو سليمان لكتاب الإعلام الوقفي، ص 6.

²⁶ السيد عمر، جامع فقه الأمة رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة عبد الحميد أبو سليمان، (واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2021م)، ص179.

²⁷ قراءة في فكر أعلام الأمة في رؤية ومنهج الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، ص313.

في عام 1392هـ/1972م أقيم في المملكة العربية السعودية أول لقاء ضم عددًا كبيراً من مندوبي منظمات الشباب الإسلامي في العالم تحت عنوان: (المنظمات الطلابية الإسلامية ودورها ومشكلاتها)، والذي كان نواة ما عرف فيما بعد بالندوة العالمية للشباب الإسلامي [World Assembly of Muslim Youth]، وتم إنشاء أمانة للمؤتمر مقرها الرياض لمتابعة تنفيذ التوصيات، ثم أصدر الملك فيصل بن عبد العزيز توجهاً ملكياً بإنشاء الأمانة العامة للندوة العالمية كأول هيئة إسلامية عالمية متخصصة في شؤون الشباب المسلم، لتكون هيئة إسلامية عالمية مستقلة يشترك في عضويتها (359) جمعية منتشرة حول العالم، وتنقسم إلى جمعيات عاملة عددها (73) وجمعيات مؤازرة عددها (286)، وفي عام (1997م) كان انضمامها لعضوية هيئة الأمم المتحدة، فهي مؤسسة إسلامية عالمية مستقلة، وهي عضو المنظمات غير الحكومية بهيئة الأمم المتحدة، ولها أكثر من (46) مكتباً منتشراً في مختلف بلدان العالم.

وتضم الندوة عدة إدارات أهمها: إدارة البرامج التعليمية، إدارة البرامج الاجتماعية، إدارة التخطيط والدراسات، إدارة الإعلام وتقنية المعلومات، إدارة العمل التطوعي الشبابي، إدارة المكاتب والعلاقات الدولية²⁸.

وهذه الإدارات، منها ما هو متعلق بمفهوم التنمية المستدامة، كإدارة تنمية الموارد، وتعمل على تنمية الموارد المالية للندوة من خلال عرض مشاريعها وبرامجها على المحسنين من رجال الأعمال والمهتمين بدعم العمل الخيري، ومن خلال أقسامها (قسم التواصل والمتابعة، وقسم المشروعات التنموية، قسم الاستقبال، ودار النشر)، وتهتم بحصر وإدارة أصول الندوة وممتلكاتها العينية والعقارية في الداخل والخارج، وتقديم الدراسات والمبادرات للاستفادة المثلى من هذه الممتلكات بما يعود بالنفع العام على الندوة مادياً واستثمارياً، وذلك من خلال أقسامها (قسم الأوقاف والتحصيل، وقسم المشروعات والصيانة).

وتلحظ من خلال هيكلية الندوة العالمية للشباب الإسلامي أن مفهوم التنمية المستدامة من خلال إدارة تنمية الموارد البشرية كان حاضراً في البداية، ولعل هذا لوجود الدكتور عبد الحميد أبوسليمان كأول أمين عام للندوة، فهو الأمين العام المؤسس لها، فعمل بها منذ بدايات التأسيس حتى عام 1980م، وما زالت الندوة حاضرة وتعمل ضمن الرؤية التي رسمتها لنفسها، وهذا لم يمكن لولا الفكر الذي أشرف على تأسيسها منذ البداية.

ثانياً) المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتحدة [IIIT]

مؤسسة غير ربحية متميزة في البحث التربوي وينصب اهتمامها الرئيسي على إجراء البحوث القائمة على الارتقاء بالتعليم في المجتمعات المسلمة، ونشر هذه البحوث من خلال النشر والترجمة والتدريس والتوصيات السياسية العامة والمشاركة الاستراتيجية²⁹، فقد تأسس المعهد في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1981 ويقع المقر الرئيسي في هيرندن، فيرجينيا في ضواحي واشنطن. وهو معهد مستقل عن السياسة المحلية والتوجهات الحزبية والتحيز الأيديولوجي، وهو فعال في إقامة روابط التعاون والشراكات مع العديد من المؤسسات والمنظمات الدولية.

²⁸ انظر: موقع الندوة العالمية للشباب الإسلامي [www.wamy.org].

²⁹ انظر: موقع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن [www.iiit.org].

وقد أرسى أبو سليمان مفهوم التنمية المستدامة في منهجية المعهد، وقد عبر عنه رئيس مجلس الأمناء للمعهد الدكتور أنور إبراهيم عندما عبر عن غايات المعهد أنها "التنمية في المجتمعات المسلمة، ... وعلينا أن نعطي أولوية كبرى للحفاظ على الشفافية المالية في جميع معاملاتنا عبر استخدام أفضل الممارسات والبرامج المحاسبية.... فإننا نأمل في الانتهاء من تحقيق الأهداف التالية على المستوى الهيكلي خلال العام الحالي: الشفافية، والالتزام المالي والقانوني، والأداء والمساءلة، وجودة النشر، وسرعة الاستجابة للمستجدات"³⁰.

وقد قام المعهد بنشر مئات الدراسات العملية والمخطوطات والرسائل الجامعية في مجالات وموضوعات مختلفة، ونشر المعهد بالتعاون مع جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين في الولايات المتحدة مجلة دورية علمية باللغة الانجليزية باسم: المجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الإسلامية منذ عام ١٩٨٤، ومجلته الرئيسية إسلامية المعرفة وهي باللغة العربية منذ عام 1995.

وللمعهد العالمي إدارة في الاستثمار والتطوير الذاتي تعمل منذ التأسيس، وتغطي مصاريف المعهد وأنشطته وفعالياته العالمية³¹.

ثالثاً) الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا [IIUM]

جامعة حكومية، ويقع الحرم الجامعي الرئيسي لها في مدينة جومباك شمال العاصمة الماليزية كوالالمبور، تأسست الجامعة في 23 مايو 1983 بدعم من عدد من حكومات الدول الإسلامية من بينها ماليزيا والمملكة العربية السعودية وجزر المالديف وتركيا وباكستان وبنغلاديش، وتدرس الجامعة العلوم الإسلامية بالإضافة إلى العلوم الطبيعية والاجتماعية والطبية الأخرى.

فكرة التأسيس تقوم على تدريس كافة البرامج الأكاديمية باللغة الإنجليزية وهي اللغة الرئيسية، واللغة العربية يتم استخدامها عند دراسة العلوم الإسلامية والعربية، وفيها نسبة كبيرة من الطلبة الأجانب لا تقل عن 24% من مجموع الطلبة في الدراسات العليا والجامعية، ويصل عددهم إلى أكثر من 10 آلاف طالب وطالبة³².

وفكرة أبو سليمان للمؤسسات العلمية والتعليمية في " بلاد المسلمين، هي المعقل الأول الذي تنشأ فيه القوى والطاقات، والمناطق بها تأهيل أبناء الأمة وإعداد الكوادر، .. لذا يجب أن تنطلق المؤسسات العلمية والتعليمية من الكليات والقناعات والمقاصد التي ينطوي عليها ضمير الأمة"³³.

³⁰ انظر: كلمة أنور إبراهيم، رئيس مجلس أمناء المعهد العالمي للفكر الإسلامي، نقلاً عن موقع المعهد [www.iiit.org].

³¹ لقد أقمنا ندوة عن الأوقاف في الولايات المتحدة الأمريكية، وتم استضافة الأستاذ ميرزا يعقوب من المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وتحدث عن تجربة المعهد في مجال استثمار الأصول المالية وتنميتها، يمكن الرجوع إليها [https://www.youtube.com/watch?v=5Fd_RLeiamk&feature=youtu.be].

³² انظر: موقع الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا [www.iiium.edu.my].

³³ قراءة في فكر أعلام الأمة في رؤية ومنهاج الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، تحرير نادية مصطفى، (واشنطن، مركز الإسلام في العالم المعاصر، ط1، 2021م)، ص113.

رابعاً: جدول مقارنة عن واقع الاستدامة في المؤسسات التي أشرف عليها أبو سليمان إذا نظرنا إلى واقع هذه المؤسسات، سنجد أنها مؤسسات حيوية ما زالت قائمة حتى الآن، وهي في توسع وتمدد وتطور، وهي مؤسسات عمل بها الدكتور أبو سليمان لمدة عقود، وأسس فيها فكرته ورؤيته نحو الاستدامة والاستمرار والتطور. وإذا رغبتنا بعمل جدول مقارنة بين هذه المؤسسات، سنجد التالي:

المعيار	WAMY	IIIT	IIUM
سنة العمل بها	1980-1973	2022-1981م	1999-1988م

أي ما يقارب ستة عقود قضاها في العمل بهذه المؤسسات، ففضى في WAMY ما يقرب ثمانية أعوام، وفي IIIT ما يقارب 41 عاماً، وفي جامعة IIUM ما يقارب 11 عاماً، فضلاً عن تنقله بين عدة دول، وهذا ما جعل هذه المؤسسات تستمر بعد أن تركها ولا تتأثر بشخصه، وإنما أرسى فيها العمل المؤسسي وأثبتته في كيانها. هذه العقود الستة من العمل في هذه المؤسسات، هي أعوام طويلة بلا شك في حياة الأفراد، ولكن كان لها الأثر الكبير في تطوير عمل هذه المؤسسات وغيرها.

المعيار	WAMY	IIIT	IIUM
طبيعة المنشأة	خبري إغاثي	فكري ثقافي	تعليمي أكاديمي

هذا التنوع في مجالات العمل يشير إلى قدرته رحمه الله في التعامل مع مختلف المجالات في حياته العملية، وهذا ما جعله أكثر تواصلًا وتفاعلاً مع جمهور هذه المؤسسات، وشكل هذا التنوع قدرة محفزة له في طرح آرائه بقوة وشجاعة، والنظر والارتقاء في فهم النص الديني وتفسيراته من خلال التجربة العملية، لهذا لم تكن اجتهاداته نظرية بحتة.

المعيار	WAMY	IIIT	IIUM
المكان	المملكة العربية السعودية	الولايات المتحدة	دولة ماليزيا

هذا التنوع في الأماكن أيضاً صقل شخصيته رحمه الله في تعميق نظرتة للعمل الإسلامي المؤسسي، فقد تعامل مع العرب، ومع المسلمين، ومع غير المسلمين، ومع جنسيات مختلفة.

هذا التعامل المتنوع المستمر شكل له دافعاً في فهم أعمق وأدق للتعامل مع الثقافات والحضارات المختلفة، وقدرة على تجاوز صعوبات العمل المؤسسي، ولهذا ساهم في الانتقال من مكان لآخر، ومن بيئة لبيئة أخرى، ما جعل له القدرة على تعزيز دوره وتطوير نظريته نحو تأسيس الأعمال المؤسسية بمهنية واحترافية.

المعيار	WAMY	IIIT	IIUM
المنصب الوظيفي	مؤسس وأمين عام	مؤسس ورئيس	مؤسس ومدير عام

إذا نظرنا إلى المناصب التي تقلدها في هذه المؤسسات، نراها مناصب عليا قيادية، جزء منها إشرافي، والآخر تنفيذي، ما جعله أكثر تأثيراً وفهماً للاحتياجات المؤسسية، وقدرة على توجيه شراع السفينة المؤسسية بقدرة القبطان التي يقودها، ولا شك أنه تعرض لأزمات مؤسسية في عدد منها، ولكن استطاع أن يتعامل معها بحكم منصبه القيادي، وشكل معه فريقاً من القيادات التي استخلفها من بعده في قيادة هذه المؤسسات.

المعيار	WAMY	IIIT	IIUM
شكل ونمط الاستدامة	وقف + إدارة تنمية موارد	وقف + إدارة تنمية موارد واستثمار	وقف + إدارة تنمية موارد

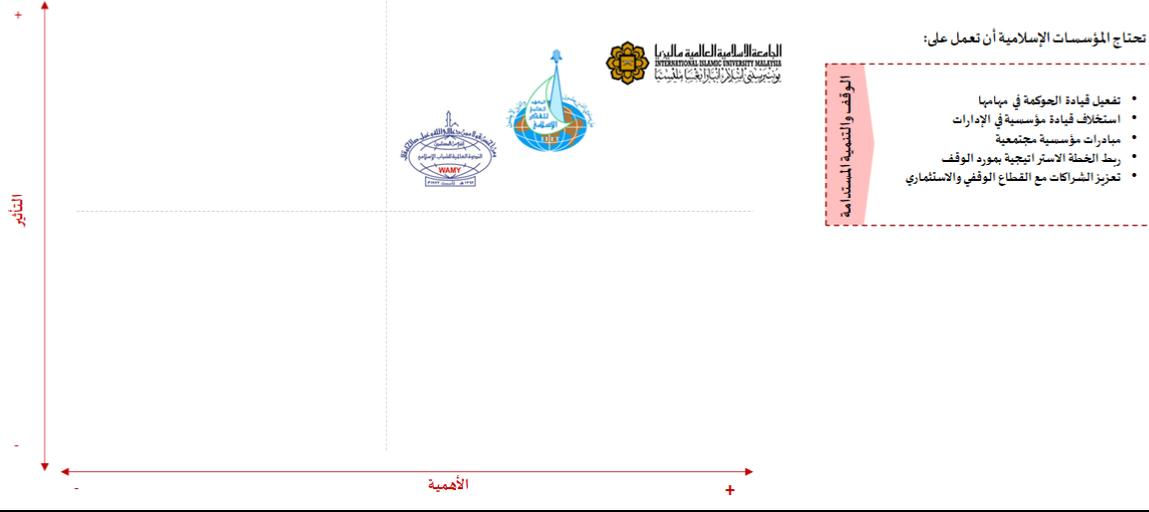
في هذه المؤسسات، ساهم أبو سليمان في العمل على تعزيز مفهوم الوقف فيها، وليس الوقف التقليدي، وإنما وقف إدارة واستثمار، فقد أسست ندوة الشباب ووقفيات في وقت مبكر، ولها إدارة متخصصة في تنمية الموارد، في حين أسس المعهد أيضاً وقفاً مخصصاً له، ومارس الأوقاف كمؤسسة استثمارية ونموذج للحفاظ على الديمومة المؤسسية.

وإذا انتقلنا إلى الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا نرى أنها أسست وقفاً مخصصاً للطلبة، وساهم فيه أبو سليمان بنفسه من خلال جلبه ما يقارب خمسة ملايين دولار لتأسيس صندوق وقف للطلبة في عهده رحمه الله، وما زال هذا الصندوق قائماً إلى اليوم³⁴.

ومع أن الدكتور أبو سليمان لم يتناول الوقف في دراساته ومؤلفاته، ولكنه لما كتب تقديم لكتابي عن (الإعلام الوقفي)، كان قاصداً بحديثه العمل المؤسسي وطرق استدامته، وكان يقصد به الوقف. ولعل الشكل التالي يشير إلى الأهمية والتأثير الذي لمسته هذه المؤسسات في اعتماد الأوقاف كمنهجية للاستدامة المالية، إدارة الوقف إدارة حديثة وليس تقليدية عفوية كما يقول أبو سليمان رحمه الله.

³⁴ انظر موقع صندوق الوقف التعليمي في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا [www.iiu.edu.my/division/ief].

مصفوفة توضح مكانة هذه المؤسسات في اعتماد الوقف كمنهجية تنمية مستدامة



IIUM	IIIT	WAMY	المعيار
تعليم الأجيال وقد خرجت آلاف الطلبة.	الكتب وتوثيق الفكر والدراسات	المشاريع والبرامج المجتمعية	حفظ حقوق الأجيال

لقد قصد أبو سليمان رحمه الله أن الاستدامة في العمل المؤسسي تهدف لتحقيق حفظ حقوق الأجيال كي نحقق مفهوم الاستخلاف في الأرض، والذي يقع من خلال نقل الأمانة للأجيال بصورة سليمة، والعمل المؤسسي من أفضل من يحقق هذا، ولهذا ساهمت ندوة الشباب بمشاريع وبرامج لتحقيق الرفاه الاجتماعي في دول العالم الإسلامي كبرامج مخصصة للشباب وغيرها، وحققت قدرة مكنتها من إبقاء مفهوم حفظ الأجيال قائماً في ذهن المسؤولين والعاملين.

في حين أن نظرة المعهد كانت تقوم من خلال منتوجات النشر العلمي للتراث الفكري والعلمي والثقافي، ليتم تعزيز مفهوم الاستخلاف وحفظ حقوق الأجيال فكرياً.

وعملياً، ترى أن الجامعة الإسلامية بماليزيا أيضاً عززت هذا المفهوم، فهي تنمو وتتطور وتقدم للأجيال الخدمات الدراسية والبحثية والأكاديمية وتطورها، وقد خرجت عشرات الأجيال منذ تأسيسها وما زالت، وخريجوها يعدون بألاف منتشرين في عدة بقاع بالعالم، وقد أكد هذا المعنى أبو سليمان في عدة محافل، فهو يرى أنه: "قد تشكل في تجربة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا نموذج بارز في إثبات قدرة مؤسسات التعليم العالي على تحقيق المطالب

السابقة، واستعادة وحدة المعرفة الإسلامية، وتصحيح المسار التربوي الوجداني، وإعداد الأبناء تربوياً بالمعارف والمهارات المطلوبة لتكوين أجيال إسلامية سليمة الرؤية"³⁵.

أي أن هذه الفكرة التي أرادها أبو سليمان من الاستدامة المؤسسية، هي الوصول إلى حفظ حقوق الأجيال وتحقيق الاستخلاف، كي يتمكن المجتمع المسلم من تحقيق إعمار الأرض.

المطلب الثالث: معالم التنمية المستدامة عند أبو سليمان

هناك عدة معالم يمكن حصرها في نظرة أبو سليمان ورؤيته لمفهوم التنمية المستدامة من خلال عمله بالمؤسسات التي أشرف على تأسيسها أو التي ساهم في العمل بها، وهذه المعالم تلخص نظرة الرجل لهذا المفهوم المؤسسي:

1) لقد كان أبو سليمان واضح الرؤية منذ البداية، يعرف ماذا يريد، وكل من يريد إنقاذ مجتمعه وأمته يجب أن يكون صاحب رؤية، وهذا ما لاحظته أيضاً في فكر الدكتور مهاتير محمد، - رئيس وزراء ماليزيا الأسبق، - وهي وضوح الرؤية الإستراتيجية في فكره وعمله، وهذا ما أشار إليه عندما سألته عن رؤية 2020، فقال لي: "أهم شيء هو وضوح الرؤية، إلى أين نحن ذاهبون، إذا عرفت الطريق، سهل الأمر بعد ذلك..."³⁶.

هذا الأمر كان معمولاً به عند أبو سليمان، فكان صاحب رؤية ورسالة، يعرف ما يريد، وكيف يكتب، وعلى الرغم من التحديات التي واجهها في عمله المؤسسي، إلا أنه كان صاحب عزيمة وإرادة، بسبب وضوح الرؤية التي يعتقدها.

ومن محددات رؤيته أنه كان يعتقد الإسلام منهج حياة، ويؤمن بتشريعاته ونظمه، فتراه في العديد من الكتابات كما في كتابه أزمة العقل المسلم، يعزز مفهوم المصرفية الإسلامية، وينتقد السياسات الربوية وأثرها المدمر على حياة الشعوب، فهو يرى ويعتقد أن الصيرفة الإسلامية يمكن أن تحقق سبيلاً واضحاً في مجال التنمية، وهذا الأمر وجدته واضحاً في فكر مهاتير محمد، الذي نمت في عهده الصيرفة الإسلامية وصارت ماليزيا محطة هامة فيها، وأنشأت مؤسسات مالية إسلامية كبيرة، مثل صندوق الحج TH، وبنك إسلام، وبنك معاملات، حتى غدت ماليزيا عاصمة صناعة المالية الإسلامية بالعالم، ومقرراً لقوانين الصيرفة الإسلامية.

المحصلة التي نراها أن الرؤية الواضحة الثاقبة هي المعلم الأساسي لدى صناع التنمية المستدامة في الشعوب والأمم، وأي وقف سواء أكانت المرأة هي الواقفة أو الناظرة عليه يجب أن تتحدد رؤيتها في هذا العمل التنموي.

فعندما نرى وقف زبيدة بنت جعفر المنصور زوجة الخليفة هارون الرشيد، والتي كان لها رؤية في خدمة الحجاج، فحفرت قنوات مائية تتصل بمساقط المطر، " واشترت جميع الأراضي في الوادي، وأبطلت المزارع والنخيل، وأمرت بأن تُشقّ للمياه قناة في الجبال، كما استطاعت زبيدة برجالها العاملين المخلصين ان يبدأوا في تصميم هذا المشروع العملاق بطرق فنية متطورة تتساوى مع ما توصل إليه اليوم علم الهندسة من تطور وتقدم، لاسيما في

³⁵ قراءة في فكر أعلام الأمة في رؤية ومنهاج الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، ص 184.

³⁶ لقد تعرضنا بشكل مختصر لتجربة الدكتور مهاتير محمد، رئيس وزراء ماليزيا، وقارنها بتجربة الدكتور أبو سليمان كمقارنة ومقاربة لملاحظة الجدة في هذه التجربة. انظر: سامي الصلاحات، ساعات في مكتب مهاتير، مقالة منشورة، (عبر صفحتي في linkedin.com، بتاريخ 25 نوفمبر 2017م).

قدرة العاملين آنذاك في سحب المياه عبر تلك المسافة الطويلة وعبر مرتفعات ومنخفضات جبلية وأودية وصحاري فعملوا المناسب المنسابة لمجرى العين والقنوات بالحجر والجص حتى استطاعت المياه الانسياب عبر هذه القنوات والمضخات البدائية بكل سهولة ويسر حتى وصلت إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة مروراً بمناطق المشاعر المقدسة منى وعرفات ومزدلفة ولا تزال آثار القنوات المائية والخرازات قائمة إلى يومنا هذا في سفوح الجبال وكأنه قد تم عملها بالأمس رغم مرور مئات السنين عليها"³⁷.

(2) ينظر أبو سليمان إلى أهمية أن يكون العامل بالمؤسسة الإسلامية صاحب رسالة، وأن لا يتعامل على أنه موظف لمدة ثماني ساعات فحسب، وإنما يريد أن يكون موظفاً الـ 24 ساعة، ولهذا كان يركز على أهمية أن يرتبط الموظف بمفهوم المؤسسة ورسالتها، ولهذا طبق هذا المفهوم جيداً، فتراه يقضي وقتاً كبيراً في التواجد بمكتبه خلال عمله في هذه المؤسسات، ولقد لاحظت - وشاهدته مراراً - أنه كان يمكث حتى ساعات المساء بمكتبه بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في منطقة الحرم القديم المسمى بـ PJ في أواخر عقد التسعينيات.

وقد عبر رئيس الجامعة الإسلامية سابقاً الدكتور أنور ابراهيم عن علاقة أبو سليمان بالجامعة الإسلامية فقال: "لم أر على الإطلاق مثيلاً له، فحبه وولائه للجامعة الإسلامية العالمية لا تشوبه شائبة"³⁸.

بل أخبرني ابنته الدكتورة منى أنه كان زاهداً في موضوع الإجازات العائلية، فهي لا تذكر أنها قضت مع والدها إجازة صيفية، فعادة ما كان يبعث أفراد الأسرة لقضاء العطللة لوحدهم، وينفرد بأعماله"³⁹.

وأغلب الأوقاف النسائية التي قامت وتأسست كانت أهلها أصحاب رسالة وعطاء، مثل وقف جامعة القاهرة، فأوقفت " ستة أفدنة خصتها لبناء دار جديدة للجامعة، هذا بخلاف 661 فدانا من أجود الأراضي الزراعية بمديرية الدقهلية، من ضمن 3357 فدانا خصتها للبر والإحسان وجعلت للجامعة من صافي ريعها (ريع 3357 فدانا و14 قيراطا و14 سهما)... وقد إيراد هذه الوقفية بميزانية الجامعة بمبلغ 4000 جنهما سنويا"⁴⁰.

(3) أن يشكل هذا الموظف نموذجاً وقدوة للعاملين بالمؤسسة كي يستقيم العمل المؤسسي، بأخلاقه وسلوكه، لا سيما الجانب المالي، وقد علمت هذا من عدة مصادر، وتوثقت من هذا الموضوع تحديداً من ابنته الدكتورة منى أبو سليمان، حيث لم يتسلم أبو سليمان راتبه طيلة عمله في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، بل كان يوضع راتبه في

³⁷ نقلاً عن موقع الهيئة العامة للأوقاف، المملكة العربية السعودية [www.awqaf.gov.sa].

³⁸ قراءة في فكر أعلام الأمة في رؤية ومنهاج الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، ص12.

³⁹ تذكر أنها أخبرني سابقاً أنها كانت ترغب بزيارة اسبانيا في عام 2006م، فأخبرها والدها " كيف نزور اسبانيا ولبنان يحترق"، نقلاً عن مقابلة الدكتورة منى أبو سليمان، بتاريخ 6 يوليو 2022.

⁴⁰ الأميرة فاطمة إسماعيل ومشروع الجامعة، نقلاً عن جامعة القاهرة، [www.cu.edu.eg].

حساب مصرفي، ومنه يتم الصرف على الطلبة المحتاجين بالجامعة⁴¹، بل على توصيف زوجته عنه رحمه الله تعالى أنه كان قريب من " التصوف الرشيد"⁴².

(4) كان يرى رحمه الله أن العمل الوظيفي في المجال المستدام يلزمه أيضاً عمل تطوعي، ولهذا كان يحث على تعزيز مفهوم التبرع بالوقت، وأن الأعمال التطوعية يجب أن تعزز في المجال المؤسسي، ولقد لاحظنا هذا في أعمال الجامعة الإسلامية العالمية⁴³.

فإذا أردت أن تعزز دور المؤسسة في المجتمع والدولة، فيجب أن توسع نطاق المشاركة المجتمعية، سواء من خلال البيئة الداخلية كموظفين أصحاب رسالة وإيمان بالرؤية، أو من خلال المتطوعين الذين يؤمنون برؤية المؤسسة التي يعملون معها.

وقريب من هذه النظرة كان يرى الدكتور مهاتير محمد بضرورة تعزيز مفهوم التطوع في القطاع الحكومي والخاص، وأن تكون هناك أوقات يقضيها الموظف في خدمة الرسالة التي يعمل لأجلها، لهذا من أسباب نجاح التنمية المستدامة في ماليزيا في فترة مضت، هو الشراكة الحقيقية التي تمت ما بين القطاع العام والقطاع الخاص، والتي كان من مقتضاها تطوير مفهوم التطوع في المجتمع الماليزي، ولقد انتهج مهاتير سياسة الخصخصة مع القطاع الخاص [Malaysian incorporated and privatization policy]، وهي سياسة تقوم على إشراك القطاع الخاص مع القطاع العام لتحقيق التنمية الشمولية بماليزيا⁴⁴.

(5) كان يرى رحمه الله أهمية أن تتغير النظرة للعمل المؤسسي، وأن لا تنحصر النظرة في العمل التقليدي المعتاد، فالمؤسسات قائمة، ولكن نظرة التغير والنهوض يجب أن تحدث بقوة كي تنطلق هذه المؤسسات بفعالية وقوة مجتمعية واقتصادية، فكان يقول رحمه الله: "ومن البديهي أن المسلمين لا تنقصهم الموارد ولا المؤسسات الضرورية ... بل إن قصارى ما يحتاجونه كما يبدو من تحليلنا هو تغيير المواقف والرؤى تجاه هذه المؤسسات وتلك الأفكار"⁴⁵. وهذا التغيير يلزمه أيضاً أن تكون هناك شراكات مع مؤسسات ذات صلة، وقد تمثل هذا أبو سليمان رحمه الله عندنا أشار إلى أن - كان يقصد استجابة المؤسسات لمفهوم التطوير الذي نادى به الجامعة الإسلامية العالمية

⁴¹ نقلاً عن مقابلة الدكتورة منى أبو سليمان، مرجع سابق.

⁴² مقابلة الدكتورة منى أبو سليمان، مرجع سابق.

⁴³ السيد عمر، جامع فقه الأمة رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة عبد الحميد أبو سليمان، ص 13.

⁴⁴ سامي الصلاحات، ساعات في مكتب مهاتير، مقالة منشورة، (عبر صفحتي في linkedin.com، بتاريخ 25 نوفمبر 2017م). ولعل التطوع والمبادرة من القضايا التي ترنو إليها العديد من الشخصيات سواء أكان من الرجال أو النساء، بل في بعض الأحيان تسبق الرجل فيها بكل جدار، ولهذا نجد الكثير من أوقاف الإسلامية في بعض الدول تعود إلى نساء، لأن إيمان المرأة بالوقف والعطاء أكبر من الرجل عموماً، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نشرت دراسة تؤكد أن 80% من الموقعين هم من النساء في إمارة الشارقة في دولة الإمارات. سامي الصلاحات، التجربة الوقفية في دولة الإمارات، إمارة الشارقة نموذجاً، الكويت، مجلة الأوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، أكتوبر 2003، ص 81.

⁴⁵ عبد الحميد أبو سليمان، النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية، (واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1993م)، ص 237.

بماليزيا - " العديد من المؤسسات والمنظمات الدولية الإسلامية مدت إليها يد العون في تمويل المباني، وكذلك تمويل صندوق المنح الدراسية لغير الماليزيين، وتمويل المؤتمرات العلمية الدولية بشكل غير مسبوق، ولم تتخلف المؤسسات الخيرية ورجال الأعمال وأصحاب الفضل والخير عن دعم صندوق تمويل المنح الدراسية ليتمكن من الوفاء بمتطلبات الألفوف من الطلاب الذين يمثلون كل أطراف أبناء الأمة وثقافات شعوبها"⁴⁶.

وقد أخبرني - رحمه الله تعالى - في آخر اجتماع لي معه في بيته في مدينة الرياض بالسعودية أن مشاكل المسلمين تتمحور حول تقديس العادات والتقاليد وتغليبها على أحكام الشريعة، وتعطيل التفكير السليم⁴⁷.

(6) ومع إيمانه بأهمية العمل المؤسسي المستدام، فهو أيضاً ينظر بأهمية إلى ربط العلوم والمعارف بمقاصد الوحي، كي يترجم هذا إيجابياً على واقع المؤسسات، إذ يقول: " نرى أهمية تكامل الغايات الإسلامية وتوجهات الوحي ومقاصده مع جهود النظر العملي والتدبر العقلي في ميدان الدراسات الاجتماعية، وسعيها لتفهم الفطرات والطبائع التي أودعها الله في النفوس"⁴⁸.

فإذا أدرك القائمون على واقع المؤسسات ربط المعارف بمقاصد الشريعة، لا سيما وأن هذه مؤسسات إسلامية وتخص المسلمين، فيجب عليهم أن يكون لديهم فهم أدق وأحكم للعلوم والنظريات الحديثة وربطها بمقاصد الشريعة لكي تخرج صناعة القرارات عندهم بحكمة وفعالية.

ومن هنا جاءت فكرة التزام أبو سليمان مهنيًا بمهنة التعليم والتربية خلال فترة عمله في عدة مؤسسات، ولا سيما الجامعة الإسلامية العالمية، فارتباطه بالتعليم محور أساسي من محاور الفكر التنموي الذي يعتقده.

وفي مقابل هذا، - إذا أردنا أن نؤخذ نموذجاً معاصراً في التنمية المؤسسية - وجدت أن الاستثمار في التعليم وتطوير الموارد البشرية، كان هاجساً للدكتور مهاتير محمد منذ أن تقلد الحكم في عقد الثمانينات، وصار الإنفاق على التعليم والتأهيل يفوق الإنفاق على التسليح والعتاد بثلاثة أضعاف، وهي نسبة عالية قد تتجاوز بعض الدول الغربية فيها، بل تجاوزت ماليزيا كوريا الجنوبية بالإنفاق على التعليم من إجمالي الناتج القومي عام 2005، فأنفقت ماليزيا 8% على التعليم مقابل 4.6% لكوريا الجنوبية. وفي عهد مهاتير عام 1997، تم إنشاء مدارس الرؤية (vision

⁴⁶ قراءة في فكر أعلام الأمة في رؤية ومناهج الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، ص 206.

⁴⁷ مقابلة مع الدكتور عبد الحميد أبو سليمان في بيته بمدينة الرياض، المملكة العربية السعودية، بتاريخ 15 مارس 2016م. ومن النماذج الوقفية النسائية التي ساهمت في الإبداع والاستمرار المؤسسي، والابتعاد عن العفوية في الأداء، وقف زوجة الخليفة سليمان القانوني روكسلانة أو خاصكي سلطان، وتوفيت عام (965هـ/ 1558م)، والتي استمر وقفها مئات السنين بسبب الإبداع في الإدارة والاستثمار. انظر: سامي الصلاحت، الأوقاف الإسلامية ودورها في مواجهة التحديات الاحتلال الإسرائيلي، (بيروت، مركز الزيتونة للدراسات الإستراتيجية، ط1، 2011)، ص 84.

⁴⁸ عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ص 195.

(schools) ضمن رؤية التنمية لغرض الانتقال من التعليم التقليدي إلى أجواء الإبداع والتفكير في التطوير من سن مبكر⁴⁹.

هذه الرؤية تجاه العلوم والمعارف التي اعتقدها أبو سليمان، أشار إليها أيضاً الدكتور مهاتير في مذكراته عندما قال: "ومع انكفاء المسلمين بسبب قلة إمامهم بالعلوم، أصبحوا ضعافاً وعاجزين عن الدفاع عن أنفسهم، لم يتمكنوا من تطوير دفاعاتهم بأسلحة واستراتيجيات جديدة، وسقطت الدول الإسلامية الواحدة تلو الأخرى"⁵⁰.

⁴⁹ محمد إسماعيل، التجربة الماليزية ومهاتير محمد، والصحة الاقتصادية، (القاهرة، العربي للنشر، ط1، 2014م)، ص 147، سامي الصلاحات، ساعات في مكتب مهاتير، مقالة منشورة، (عبر صفحتي في linkedin.com، بتاريخ 25 نوفمبر 2017م).

⁵⁰ الدكتور مهاتير محمد، طبيب في رئاسة الوزراء، ترجمة أمين الأيوبي، (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2014م)، ص 573.

النتائج والتوصيات

بعد الانتهاء من هذه الورقة حول تجربة أبو سليمان في بناء المؤسسات والتنمية المستدامة، وكيف يمكن تطوير هذه التجربة للاستفادة من التجارب التي تجمع ما بين الوقف والتنمية في عصرنا الحاضر، نقف الآن لنختتم بأهم النتائج والتوصيات:

- نظرة أبو سليمان لمفهوم الاستدامة تتلخص بأهمية أن تلتزم القيادة السياسية بالعمل المؤسسي وتقتنع به، وأن الجيل الذي يتسلم هذه المؤسسات يجب أن يتم بنائه على منهج تربوي سليم، يعرف مقاصد الإسلام، ويتم الإعداد المتقن واكتساب التخصصية اللازمة لعمل المؤسسة، مع الاعتقاد أن العمل الجماعي يجب أن يكون مؤسسياً قائماً على الأصالة والمعاصرة.
- مارس أبو سليمان رحمه الله العمل المؤسسي عملياً من خلال عدة مؤسسات كبيرة وفي أماكن مختلفة ومتنوعة، في السعودية والولايات المتحدة وماليزيا وغيرها، وأسهم في تأكيد معنى المؤسسة المستدامة فيها.
- لم يتحدث أبو سليمان عن الوقف كمفهوم للتنمية المستدامة بصورة واضحة، ولكنه كان يشير إلى دور المؤسسة الوقفية وأهمية أن تكون احترافية وليست مؤسسة وعظيمة تقليدية.
- من خلال المقارنة بين المؤسسات الثلاث التي أشرف عليها أبو سليمان، نجد أنها مؤسسات قوية مستمرة، كلها ساهمت في تطوير المجتمعات التي تعاملت معها، وزادت شرائح الفئات المستهدفة لديها، وتوسعت أصحاب المصالح فيها، وما زالت قائمة وتحقق نمواً متصاعداً، والفضل في ذلك قدرتها على تبني فكرة التنمية المستدامة بصورة مبكرة.
- اعتقاد أبو سليمان تجاه نجاح التنمية المستدامة لا يقوم إلا على الفرد المؤمن برسالة مؤسسته، وأن لا يتعامل معها أنها محل وظيفة فحسب، وأن يكون قدوة حسنة للآخرين سواء العاملين بالمؤسسة أو للعملاء كي يحقق كسباً تجاه المؤسسة.
- كذلك عزز مفهوم العمل التطوعي في هذه المؤسسات، لأن العمل المؤسسي لا ينحصر فقط بالموظفين، وإنما أيضاً يجب أن يوسع الفئات المستهدفة للمؤسسة، ولهذا لا بد من إشراك المتطوعين في أعمال المؤسسة الداخلية والخارجية.
- أخيراً، نُوصي أن تقوم هذه المؤسسات الثلاث - لحفظ حق هذا الرجل، - بعمل وقف تنموي لصالحه يوجه نحو الأعمال التي كان يهتم بها. رحم الله دكتورنا عبد الحميد أبو سليمان، وجازاه خير الجزاء على ما بذله من عطاء وفكر وحرص لإصلاح واقع المسلمين.

المصادر والمراجع

ابن عابدين، رد المحتار، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994).
الأميرة فاطمة إسماعيل ومشروع الجامعة، نقلاً عن جامعة القاهرة، [www. cu.edu.eg].
الدكتور مهاتير محمد، طبيب في رئاسة الوزراء، ترجمة أمين الأيوبي، (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2014م).
دليل الاستدامة المؤسسية للمؤسسات المالية، (البحرين، المجلس العام للبنوك والمؤسسات المالية الإسلامية، 2022م).
سامي الصلاحيات، الأوقاف الإسلامية ودورها في مواجهة التحديات الاحتلال الإسرائيلي، (بيروت، مركز الزيتونة للدراسات الإستراتيجية، ط1، 2011).
سامي الصلاحيات، التجربة الوقفية في دولة الإمارات، إمارة الشارقة نموذجاً، الكويت، مجلة الأوقاف، الأمانة العامة للأوقاف، أكتوبر 2003.
سامي الصلاحيات، ساعات في مكتب مهاتير، مقالة منشورة، (عبر صفحتي في linkedin.com، بتاريخ 25 نوفمبر 2017م).
السيد عمر، جامع فقه الأمة رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة عبد الحميد أبو سليمان، (واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2021م).
عبد الجبار السهاني، دور الوقف في التنمية المستدامة، (جامعة الإمارات، مجلة الشريعة والقانون، العدد44، أكتوبر 2010م).
عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، (واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1991م).
عبد الحميد أبو سليمان، العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي، (واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 2001م).
عبد الحميد أبو سليمان، النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية، (واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1993م).
عبد الحميد أبو سليمان، كلمة التقديم لكتاب الإعلام الوقفي، (الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ط1، 2006).
عبد الرحمن الجريوي، أثر الوقف في التنمية المستدامة، (الجزائر، ملتقى مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة 8 مايو، 2012م).
عبد الحميد أبو سليمان، النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية نقلاً عن:

[https://archive.org/details/41_1_LIVE_201709/page/n49/mode/2up]
قراءة في فكر أعلام الأمة في رؤية ومنهاج الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، تحرير نادية مصطفى، (واشنطن، مركز الإسلام في العالم المعاصر، ط1، 2021م).
كلمة التحرير، عبد الحميد وإسهاماته في بناء القيم، الفكر الإسلامي المعاصر، (العدد 102، خريف 1442هـ/2021م، [www.citj.org]).
كلمة أنور إبراهيم، رئيس مجلس أمناء المعهد العالمي للفكر الإسلامي، نقلاً عن موقع المعهد [www.iiit.org].
محمد إسماعيل، التجربة الماليزية ومهاير محمد، والصحة الاقتصادية، (القاهرة، العربي للنشر، ط1، 2014م).
محمد الخواجة، دور الوقف الإسلامي في عملية التنمية المستدامة، (الرباط، مؤمنون بلا حدود، 2016م).
مقابلة مع الدكتور عبد الحميد أبو سليمان في بيته بمدينة الرياض، المملكة العربية السعودية، بتاريخ 15 مارس 2016م.
مقابلة مع الدكتورة منى أبو سليمان، بتاريخ 6 يوليو 2022.
موسى نفاع، أثر المشاريع الصغيرة والمتوسطة في التنمية المستدامة، (الأردن، جامعة البلقاء التطبيقية، رسالة الماجستير، 2013م).
موقع إسلام أون لاين [islamonline.net]، بتاريخ 7 يوليو 2022.
موقع إسلام أون لاين، [www.islamonline.net].
موقع الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا [www.iiium.edu.my].
موقع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن [www.iiit.org].
موقع الندوة العالمية للشباب الإسلامي [www.wamy.org].
موقع الهيئة العامة للأوقاف، المملكة العربية السعودية [www.awqaf.gov.sa].
النووي، المجموع، (دار الفكر، ط.ت.).